الحوار النبوي

"دراسة بينية "

بقلم الدكتور

وضحى بنت مسفر بن محمد القحطاني

أستاذ مساعد الأدب والنقد الحديث بقسم اللغة العربية

بجامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل

المملكة العربية السعودية

المقدمة

تنحى الدراسات الحديثة إلى التلاقح المعرفي بين العلوم المختلفة، والعلوم الإنسانية بطبيعتها وطيدة الصلة بعضها ببعض؛ بل إن كثيرا من العلوم لا يستقيم فهمها وإتقانها إلا بما يُعرف بالعلوم المساعدة وعلوم الآلة التي تمكن المتخصص من إتقان صنعته المعرفية .

واللغة العربية كسائر هذه العلوم أخذت وأعطت المعارف الإنسانية وصبغتها بصبغتها النضرة، وفي الأزمان المتأخرة احتفت الأمم والشعوب بالحوار ووجدته سبيلا للوئام والإصلاح –الذي هو مطلب إنساني لا يختلف عليه اثنان – ولو تأملنا في طبيعة الحوار لوجدناه مهارة من مهارات الاتصال الأربع في اللغة والتي هي : الكلام، والاستماع، والكتابة، والقراءة[1]

حيث أن الحوار يقوم على مهارتين: مهارة الكلام، ومهارة الاستماع، مما يجعل دراسته ضمن النسق اللغوي متجانسا مع طبيعة اللغة وأساسها . وبالعودة لمعنى الحوار ومعنى البلاغة نلمس علاقة طريفة بينهما فالحوار كما تشير بذلك مادة (ح و ر) ما سمي الحوار حوارا إلا لأنه ضُمِّن معناه الرجوع[2] والذي أراه أن الحوار رجوع لغاية: وهي الرجوع عن الباطل، أو الرجوع إلى الحق، وأُضيف لهاتين الغايتين الرجوع إلى الأخف ضرراً إن كان الضرر حاصلا لا محالة، أو إلى الأعظم منفعة إن كانت ممكنة وتعذر

---

(1) – ينظر : الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، عبدالعليم إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط10 ،ت(من دون) ص 48 .

(2)– ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (ح و ر) ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1410–1990 ، جـ4 ، ص217.

الاتيان بها كلها، فلا يوجد حوار يخلو من غاية لأجلها يقوم الحوار وبها ينهض.

والبلاغة كما أشار الناقد مصطفى ناصف :(لفظ البلاغة يعني الوصول والانتهاء ، وقد تصور أجدادنا –فيما يبدو –أن الإنسان يعرف في كل حال غايته ويعرف كذلك إن كان بلغ هذه الغاية)[1]

فلو سلمنا أن الحوار هو الرجوع لغاية يتفق عليها الطرفان إذن هو بطبيعته بلاغي أسلوبي فيجب أن ينظر إليه من هذه الزاوية .

وبخاصة أن الأسلوبية منهج رغم الاختلاف على تحديده إلا أنه يُجمع على عنايته بالمتحدث ،والمتلقي، والنص ،وأثرها في التفكير الأسلوبي[2] وهذه هي عناصر الحوار .

والقارئ للمؤلفات التي أُلفت في الحوار يجدها تنصب على: المهارات، والمتحدث، والمتلقي، وتغفل عن النص، أوأنها تشير للناحية السلوكية وتُغفل الناحية الوجدانية والتي تأتي مع الفكر لتكون اللغة.

وبحسب ما يشير بالي– وهو من أعلام الأسلوبية–فإن المتكلم قد يضفي على معطيات الفكر ثوبا موضوعيا، ولكنه في أغلب الأحيان يضيف عناصر عاطفية قد تكشف عن ماهية المتكلم، وقد تتغير بحسب الظروف

---

(1) – اللغة بين البلاغة والأسلوبية ،مصطفى ناصف ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، 1409–1989 ، ص99.

(2) – ينظر : التفكير الأسلوبي "رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث ، سامي عبابنة ،عالم الكتب الحديث،جدارا للكتاب العالمي، الأردن ، ط1، ت2007 ، ص25.

الاجتماعية، مردها لحضور أشخاص آخرين، أو استحضار خيال المتكلم لهم[1].

لذا كانت رغبتي في قراءة النصوص التي تلقتها الأمة بالقبول في الحوار قراءة أسلوبية وبذلك يتحقق المنهج البيني الذي يجمع بين العلمين، ويتحقق للغة العربية حضورها البلاغي في الدراسات الحوارية، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله :(المحاور الجيد هو الذي يرتكز في أدواته على فصاحة لسانه، وقوة تعبيره ، وقدراته البيانية، فالكلام الفصيح الخالي من التعقيد والغموض، والخالي من الأخطاء التعبيرية ،والنحوية، واللغوية، هو الذي يوصل المعلومة الصحيحة، والفكرة السليمة إلى المحاور الآخر، فقد يملك المحاور لساناً بليغا، وبياناً فصيحاً، وقدرة على التعبير والتلوين في الكلام، ولا يملك حجة قوية ولا فكرا مقنعاً، فإذا حاور من يملك الحجة، والدليل، والفكرة، ولا يملك البيان والفصاحة ضاعت الحقيقة؛ لأنها لم تعرض في اللغة التي تظهر البيان الذي يعززها.)[2]

وقد حرصت أن أخط هذه الأحرف وفق منهج(بيني) فأنتقي النصوص الحوارية التي احتفى بها علماء الحوار والمؤلفون في المهارة الإنسانية العالية، وأقرأها قراءةً أسلوبيةً تنظر في السرِّ البياني للألفاظ والأثر الذي أحدثته في نفس المتلقي، ومواطن براعة المتكلم. معززة بياني بأقوال لعلماء الحوار وأهل البلاغة والأسلوب الأدبي.

---

(1) – ينظر: الأسلوب والأسلوبية ، عبدالسلام المسدي ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت ،ط5 ،2006 ،ص36.

(2)- والحوار علاقة تبادليه ، عباس محجوب ، الدار والطبعة (من دون) الخرطوم ، 2004 ، ص181-182.

وأردت بالأسلوبية هنا الدراسة الداخلية للأسلوب، أو الدراسة الأدبية والتي تُعنى بتعبير الفرد من حيث : بواعثه، وأسبابه، والمقاصد حيث أنه وثيق الصلة بالنقد الأدبي، لا بالنظام اللغوي[1].

ولم أجد في البيان البشري ماهو أرقى لفظا، وفكرا من حديث الرسولﷺ والذي اصطفاه الله لنا أسوة حسنة في كل شؤون الحياة يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾[2]

وقسمت هذه الدراسة إلى قسمين :

أولا: أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الحوارية وخطبه المباشرة.

ثانيا: رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد حرصت على إدراج رسائله وخطبه ﷺ لأن الجانب الحواري المكتوب يغفل عنه في دراسات الحوار المعاصرة على الرغم من أننا في عصر التواصل الكتابي.

والدراسات الأسلوبية المعاصرة تركز على الجانب المنطوق وتحيله مكتوبا، وذلك ضمن دراسات تحليل الخطاب

وكان من الصعوبات التي واجهتها خلال دراستي جدّة (المنهج البيني) حيث يقوم على الاستقاء من علمين مختلفين يجمع بينهما الباحث ويأخذ من كل علم بطرف، ولأن اللغة العربية هي القالب لسائر الأفكار والفنون والمعارف البشرية فهي الأولى بالتصدر على عرش الدراسات البينية:

---

(1) – ينظر :علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، د. صلاح فضل ،منشورات النادي الأدبي الثقافي بجدة ،ط3 ،1408-1988 ، ص17

(2) – سورة الأحزاب ، آية رقم 21

(وفي تقديرنا إن الدراسات البينية هي التي تفتح للباحثين سبل الربط بين الأدب والحياة في مظاهرها كافة ، وقد لحظنا أن حقول البحث العلمي في اللغة العربية تنفصل كل يوم أكثر فأكثر عن العالم الاجتماعي والنفسي والجمالي والاقتصادي الذي يعيشه الإنسان العربي، وأن مخيال البحث في التخصصات الضيقة ينضب يوما فيوما ، ويظهر عجزه عن استنباط الموضوعات المفيدة لإنسان هذا العصر الداعمة لإشعاع اللغة العربية)[1]

و يبقى الجهد الأكبر على الباحث في استخدامه للمنهج البيني، وإني لأرجو من خلال دراستي هذه أني قد سددت وقاربت، ولفت الأنظار للصلة الوثيقة بين علم الأسلوب، وعلم الاتصال اللغوي .

وقمت بتخريج الآثار، والأحاديث وعزوها إلى مصادرها، وتخريج الآيات القرآنية، والإحالة إلى المصادر في موضعها من البحث .

وأتبعت دراستي بخاتمة وفيها بعض التوصيات، وثبت للمصادر والمراجع والله أسأل أن يغفر الزلل، فما كان من صواب فمن الله (له المنة والفضل)وما كان من خطأ وتقصير فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله – صلوات الله عليه –منه بريئان.

(1) – التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها ، صالح بن الهادي رمضان ، من إصدارات وزارة التعليم جامع الإمام محمد بن سعود ،سلسلة دراسات بينية –2– ط (من دون) ،ص31 .

المبحث الأول

- أحاديث الرسول ﷺ الحوارية وخطبه المباشرة:

أثنى الله –سبحانه وتعالى – على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– بأنه :

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾[1]

فكلامه ﷺ مزكى من رب السموات والأراضين السبع، وأجمع العارفون بالعربية أنه انقادت له الفصاحة دونما تكلف ولا تعنت بل إن لكلامه عند مخاطبته ومحاورته وقعا خاصا؛ وها هو الجاحظ يصف هذا الصنف من حديثه صلى الله عليه وسلم :(وأنا ذاكر هنا فنا آخر من كلامه ﷺوهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين) فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث الحكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة ،وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمة، ولازلت به قدم، ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرف الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا

---

(1) – سورة النجم ، الآيات 3–4 .

بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز، ولا يلمز، ولا يبطئ، ولا يعجل، ولا يسهب، ولا يحصر)[1].

وهذا الذي أشار إليه الجاحظ من صفات كلام رسول الله هو مانص عليه العلماء في أدب الحوار من بيان القول، واحترام المخاطب، وإيضاح المعاني، وتجنب الخصومة والبذاءة، وعدم إيذاء الغير بالسب، والشتم ونحو ذلك .[2] وقد أجمع خبراء الحوار أن هذا الصفات مما لابد توافره في المحاور.

ولئن كان الإسلام سنّ لأتباعه الجهاد، وبذل النفس للذود عن دينهم، وأعراضهم، وأموالهم، إلا أنه فتح من دون ذلك أبواباً شتى: بالكلمة الطيبة، والحكمة، والحوار، وتبادل الرأي؛ لدفع من تنتكس فطرته أو تسوّل له نفسه القتل، والزني وغيرها من مظاهر الإفساد.

ولم يواجه أحد من البشر عنتاً وإرهاباً على جميع الأصعدة، مثلما واجه ولاقى نبينا محمد ﷺ؛ ولم يستتب الأمن وتنكسر شوكة البغي على يد رجل مثلما كانت على يد محمد ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده ؛ لذا حرصت في هذه الدراسة الموجزة على تسليط الضوء على نهج المصطفى الكريم في الحوار، والتعامل مع شتى صنوف البشر من: المعاندين ،والراغبين ،والمعرضين، بدءا من الإعراض عن دين الله إلى مادون ذلك . وأقول كما

---

(1)- البيان والتبين ،لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وضع حواشيه موفق شهاب الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ،1419-1998، جـ2/10-11 .

(2) - يرجع لهذه الأوصاف بالتفصيل لكتاب : أدب الحوار ، سعد بن ناصر الشتري، تعليق سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز آل شيخ ، كنوز إشبيليا،الرياض،ط1 ،1427-2006 ،ص15-42 .

قال من قبلي: (وإنما غرضي من ذلك : أن يوجه هذا الخطاب لنا جميعاً بدون استثناء، وفي أي مكان كنّا، في الساقة أوفي القيادة. نستضئ بسلفنا الصالح ومنهجهم القويم، نقف عنده بعمق؛ لننطلق به بصدق، في حياتنا العلمية والعملية، فتكون نبراساً وضياء لنا، ولن يصلح حال هذه الأمة إلى بما صلح به أولها.

فهذه المعالم المباركة يجب أن تتحول إلى ممارسة راشدة، وتأسٍ منهجيّ وتربوي بتلك الأجيال المهدية، وتوظف التوظيف المثمر المنتج الذي يتجاوز مرحلة البناء والعطاء، ثم الوصول إلى النتيجة العلمية المباركة بتوفيق من الله تبارك وتعالى) [1]

وإذا كان من البيان سحر يقلب الباطل حقاً، ويزيد الحق بهاءً، فما أجمل أن نتأمل سوياً كيف تعامل سيد البلغاء وإمام الفصحاء ﷺ، وقائد المتقين وسيدهم مع مظاهر عصره، كي نقتبس من جميل بيانه ،ونستضيء بنير فكره، لنصل سوياً إلى النهج الرباني للسلامة والنجاة فـ:(المحاور الجيد هو الذي يرتكز في أدواته على فصاحة لسانه، وقوة تعبيره ، وقدراته البيانية، فالكلام الفصيح الخالي من التعقيد والغموض ، والخالي من الأخطاء التعبيرية ،والنحوية، واللغوية، هو الذي يوصل المعلومة الصحيحة ،والفكرة السليمة إلى المحاور الآخر ، فقد يملك المحاور لساناً بليغا ، وبياناً فصيحاً، وقدرة على التعبير والتلوين في الكلام ولا يملك حجة قوية ولا فكرا مقنعاً، فإذا حاور من يملك الحجة والدليل والفكرة ولا يملك البيان والفصاحة ضاعت

(1) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، تأليف أحمد بن عبدالرحمن الصويان ، دار الوطن ، الرياض ، ط1 ، 1413 ، ص6.

الحقيقة لأنها لم تعرض في اللغة التي تظهر البيان الذي يعززها)[1] ولا شك أن هذه الصفات للمحاور الجيد كانت ظاهره في شخصه الكريم ﷺوفي أصحابه من الخلفاء الراشدين من بعده .

لين الخطاب وهدوء النفس هي وصية الله لنبيه موسى عليه السلام وأخيه هارون قال تعالى :﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [2].

وجمع رسول الله ﷺ في خطابه وعلاجه للمواقف والإرهاصات ما تحار فيه العقول، وتعجز عن الإحاطة به الدراسات الإنسانية (لم يحدث في تاريخ البشرية أن قائداً أو مصلحا استطاع أن يغير معالم أمة كاملة ،و وينشئ دولة ذات قوة وسلطان ورسالة وهدف، كما فعل رسول الله ﷺ القائد الملهم، والمربي الذي يحكم، والسياسي المصلح الذي اجتمع في شخصه الشخصية القائدة ،والرأي الأصيل ،والعزيمة القوية، والفراسة الصادقة، والخلق الكريم) [3].

ومن المهم جداً أن نعلم أن (الحوار مواجهة ومراجعة، إما بين الفرد والذات، أو الفرد والآخر، بل إن الحوار أصبح فناً من الفنون الإنسانية في إطار علم التفاوض؛ الذي أصبح له أسس ،وقواعد . والحوار سمة من سمات الإنسان القائمة على الكلمة، ولا يقصد به أن يتكلم الفرد بل أن يجعل الآخر يتكلم ويستمع إليه ،ولو لم يكن كلامه لائقاً، لأن المقصود من الحوار أن نصبر على الآخر، ونستمع إليه دون أن يكون في ذلك ما يدل على

(1) والحوار علاقة تبادليه ، عباس محجوب ، ص181-182

(2) سورة طه ، الآية 44

(3) الحكمة والحوار علاقة تبادلية ، عباس محجوب ، ص45

الخصوصية ؛ لان الكلمة في أساسها وسيلة للتواصل الإنساني ولأن هدفه هو التواصل وإن لم يكن هناك اتفاق) [1].

والكلمة إما أن تكون منطوقة أو مكتوبة، تدور بين طرفين في إطار تبادلي يبادل كل منهما الآخر الحديث، أو قد تكون من جانب، والجانب الآخر يتلقى بصمت؛ إقراراً وقبولاً، لذا نجد أصناف الحوار لدى النبي ﷺ : إما حديث متبادل بينه وبين فرد بعينه، أو خطبة عامة شاملة لأفراد عدة، أو رسالة مكتوبة . ونبدأ بأولها وهي الأحاديث التي دارت بينه وبين بعض الأفراد، وكيف استطاع بحكمة بالغة، وببلاغة متناهية، أن يكسب عن طريق فرد قبيلة كاملة تنضم لركب المسلمين، وتسقط من قائمة المتربصين للدين الجديد، وأبرز هذه الأمثلة قصته مع ضِمام بن ثعلبة ،عن ابن عباس، قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضِمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل إلى المسجد ورسول اللهﷺ جالس في أصحابه؛ وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب ؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب. قال: أمحمد ؟ قال: نعم، قال: يا بن عبد المطب، إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة، فلا تجدنَّ في نفسك قال: لا أجد في نفسي، فسل عما بدا لك.

قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال : اللهم نعم، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال: اللهم

(1)المرجع السابق ، ص 135

نعم، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال: اللهم نعم، قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة، الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها، ينشده عن كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم أنصرف إلى بعيره راجعاً. قال : فقال رسول الله ﷺ : إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة. (1)

إن المتأمل لهذا الحوار الطويل يلاحظ النفس الأعرابي المسيطر على الحوار منذ بدئه ، (أيكم ابن عبد المطلب؟) وكيف استطاع الرسولﷺ فهم نفسية الرجل منذ أول لحظة، فلم يقل أنا رسول الله، وإنما خاطبه بلغته قائلاً : أنا ابن عبد المطلب ، وانظر لهذا الأعرابي كيف أعلنها بعد ذلك صريحة (إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة، فلا تجد في نفسك) فرد عليه ﷺ قائلاً: لا أجد في نفسي، وبدأ الحوار الفعلي حول حقيقة البعثة ومن بعثه، والأعرابي يقول: الله إلهك وإله من كان قبلك ومن كان بعدك، والرسول لا يزيد على قوله: (اللهم نعم) إن الإيجاز في العبارة واقتطاع عبارات الأعرابي نفسه في الرد عليه، كان سبباً ليس في إسلامه فقط وإنما في إسلام قبيلته من ورائه

(1) رواه أحمد في مسنده لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، مؤسسة قرطبة، مصر، ط،ت ، (من دون).ج4، ص 118 ، وإسناده صحيح ، وقد وردت الحادثة في السيرة النبوية لأبي محمد عبدالملك بن هشام، قراءة وضبط وشرح : محمد نبيل طريفي، دار صادر ، بيروت ، ط1 ،1424-2003 ،ص142

ويشدني هنا تعليق لمصطفى ناصف حول الإيجاز فقد كان يرى أن الإيجاز من أوضح الوسائل إلى الأمن وتجنب الصراع بين المتكلم والمخاطب، ولا يفصح عن كل ما في نفسه .[1]

ويثير الانتباه هنا اللفظة المتكررة من قبل ضمام (أنشدك) و(آلله) فأنشدك الله بمعنى أستحلفك بالله [2]. إن انتقاء هذه الصيغة في القسم من الأعرابي وتكرارها مقرونة بالاستفهام بالهمز، والذي دخل على اسم الجلالة الله فانقلب إلى مد فيه تناسب، وكأنه حين يستحلف رسول الله ويمد صوته بالاستفهام معظما لاسم الجلالة يبين عظيم ما سأل عنه! وبالتالي لن يقبل إلا بالصدق، بل توالي هذه الأساليب من ضمام دلالة على جديته في البحث عن الحقيقة، ولا أدل على ذلك من ذهابه لقومه محذرا ومنذرا، يقول ابن عباس محدثا عما حدث له بعدما وصل للخبر اليقين من النبي صلى الله عليه وسلم:(فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى! قالوا : مه يا ضمام! اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون! قال: ويلكم! إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً أستنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، وما نهاكم عنه، قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً. يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة)[3]

---

(1) – ينظر: اللغة بين البلاغة والأسلوبية ،مصطفى ناصف ، ص22

(2) –ينظر : لسان العرب لابن منظور ،مادة (ن ش د) ج3 ، ص 421 .

(3)– السيرة النبوية ، لابن هشام ، ص 142

لم يكلف دخول هذه القبيلة كلها أكثر من كلمات:"اللهم نعم"من رسول الله ﷺبينما كلفت قريشٌ رسولَ الله ﷺ سنيناَ عجافاً من الحرب والقتال، فدعوة هذه القبيلة لا تعدو أكثر من إجابة واحدة على أسئلة محدودة، وهذا الأسلوب النبوي المبسط هو الذي إليه دعا بعض الباحثين النفسيين في العصر الحديث، حيث قال :(كثيراً ما يفشل خير المحاورين في حوار بعض البسطاء؛ لأنهم يعرضون أفكاراً متعددة لتوضيح قضية بسيطة، فتزدحم الأفكار في ذهن ذلك البسيط ،فيضطرب إدراكه، ولو أنهم اكتفوا بفكرة أو باثنتين، لكان أرجى لإدراكه وأيسر لفهمه)[1]

وإن كان رسول الله ﷺ في حواره لضمام قد اقتضب مراعاة لحاله ونفسيته وإدراكاً لما وراءه، لكنه في حواره لعدي بن حاتم يركب مركباً جديداً أخذ فيه وأعطى وحاجج بالعلم والوحي. بل ويمارس أساليب الإقناع ليست القولية فقط بل والعملية، حيث يحكي عدي بن حاتم قصة إسلامه فيقول :

(خرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدّي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله أنه لعامدٌ بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، فقال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك! قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم محشوة ليفاَ، فقذفها إلي، فقال: اجلس على هذه، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض. قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال:

(1)- كيف تحاور ، دليل عملي للحوار ، د.طارق الحبيب ، دار المسلم ، الرياض ، ط4، 1418 ، ص50

إيه يا عدي بن حاتم! ألم تك ركوسياً ؟ قال : قلت : بلى، قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرباع ؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك؛ قال: قلت: أجل والله وقال: وعرفت أنه نبي مرسل، يعلم ما يجهل، ثم قال : لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخولِ في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيِّة على بعيرها[حتى] تزور هذا البيت، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن المُلك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، قال: فأسلمت)[1]

إن إنزال الناس منازلهم والعلم القوي بنقاط الضعف فيهم بل وإزالة المخاوف من نفوسهم، مفاتيح يستجلب بها الخصم عند الحوار، وذلك ما كان من رسول الله ﷺ . فتصرفات النبي ﷺ العملية من قضاء حاجة الضعيف وبيته المتواضع بل وتكريمه لعدي على الرغم من كونه لا يزال على نصرانيته جعلت عدياً مهيأً نفسياً لقبول الحديث مع رسول الله ﷺ .ولذلك واجهه رسول الله بحقيقة دينه وحرمة فعلته، ولم يداهنه وأحسن التلطف معه، وأدرك نقطة ضعفه وهي (المال) فطمأنه بعد أن علم من القرائن المحيطة به، ومن سبره لنفسية عدي (خليل الملوك من بني غسان) أن كثرة الفقراء من حول النبي ﷺ قد تحول بينه وبين الإسلام ،فوعده، وأسلم عدي، وكان حقاً لا يقبل الريب ما وعده به ﷺ. وما سبق من رسول الله هو

(1)رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم الحديث3431. السيرة النبوية ، لابن هشام جـ4 ، ص 146-147

أعلى مقامات المحاور الناجح الذي يطفئ جمرة الشبهة قبل اتقادها. وكما قال أحد الباحثين يصف المحاور الناجح وكأنه يعلق على حادثة رسول اللهﷺ مع عدي فيقول : (ينبغي للمحاور أن يكون كيساً فطناً، ذا بديهة سريعة وتصرف حسن يجيد التخلص من المآزق، متفرساً في خصمه يتنبأ بما يكنه من شبهات أو أباطيل ويتوسم مبلغ عقله وعلمه، وقدره ومنزلته، فبذلك يمكنه أن يواجه المعاندين من الخصوم ومن يجيد المراوغة منهم، كما أنه يستطيع أن يقتل الفكرة الباطلة في مهدها ويقضي على الشبهة قبل ذكرها)[1]

بهذا الحوار الناجح قضى رسول الله ﷺ على مظهرين من مظاهر الجرم والإفساد، وهما الإشراك بالله، وأكل أموال الناس بالباطل، حينما أستطاع أن يستميل عدياً للإسلام دونما أن يهادنه بالباطل، وهذا هو السبيل الصحيح في القضاء على الباطل، جلاؤه بوضوح .

وكان الرسول ﷺيتدرج في السؤال مع عدي بن حاتم ليس لغرض معرفة الإجابة، ولكن للاستماع لحجته وتقريره بخطئه، وبالتالي تدرج معه في إقامة الحجة. وهذه من السمات الخاصة التي أشار إليها البلاغيون في بلاغة الحوار النبوي[2]

(1)الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحيى بن محمد حسن أحمد زمزمي، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، دار الرمادي للنشر ، الدمام ، ط1 ، 1414-1994 ص49.

(2) – ينظر: البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، د. غالب الشاويش، الرشد، الرياض ،ط1430-1، 2009 ، من ص26-28

وخاتمة حواره ﷺلا تنفك عما سبق فحينما لمس رسول الله ﷺمنه لين الجانب بعد إقراره بخطأ دينه، أذهب الرسول ما قد يكون في نفسه من شك بقسمه قائلا:(وايم الله ليوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم) وللقسم مكانته البلاغية التي لا تخفى، وأثره في توكيد المعاني معلوم .

ولكن القسم من الرسول الصادق الذي لا ينطق عن الهوى لا يكون إلا لأمر عظيم، وقد كان هذا مناسبا للأمر العظيم الذي في ظاهره يخالف ما عليه حال المسلمين من الضعف، لذلك جاء القسم هنا بصيغة وأيم الله[1]

وقد كان التكريم وتقريب الوساد عاملا في قبول كلامه ﷺ، وكما قال مصطفى ناصف: (قبول اللغة رهين باعتبارات خارجية عن اللغة)[2]

وإذا تأملنا صورة أخرى من صور الحوار الناجح نلمحه في حماية الأعراض، وذلك في قصة الفتى الأنصاري، الذي قدم على النبي ﷺ يستأذنه في الزنى: عن أبي أمامة قال أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه، فزجروه، وقالوا: مه مه فقال: أدنه فدنا منه قريباً: قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لاوالله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال أفتحبه لابنتك ؟ قال: لا والله، يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال لا والله، جعلني الله فداءك، قال ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك ؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه

(1)- ينظر : المرجع السابق ، ص 120 .

(2) – اللغة بين البلاغة والأسلوبية ، مصطفى ناصف ،ص 208 .

لخالاتهم، قال :فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء .[1]

فانتهاك الأعراض باب عظيم من أبواب الإفساد؛ فما من عربي تجري دماء العروبة في عروقه، وروح الإسلام في بدنه إلا ويأنف أن ينتهك عرضه، وأن قاتل فقتل دونه، فكيف يجرؤ هذا الفتى على مثل هذا الطرح ؟! لكن ما أستقر في نفسه من الإيمان يحول بينه وبين مواقعته، وما رسخ في قلبه من تعظيم شرع الله ،وأن رسول اللهﷺ المشرع عن ربه الرؤوف الرحيم، هو الذي جعله يجرؤ على مثل ذلك، وإلا فالأمر عظيم والدليل رد فعل الصحابة (فزجروه وقالوا مه مه) ولكن كيف تعامل رسول الله مع الموقف، إن عبارة الرفق تضيق عن وصف رد فعله، وبحر الحلم يغدو خليجا بجوار حلمه ﷺ .

وأبرز ما يلاحظه القارئ أن نقاش رسول الله ﷺ قام على الإقناع العقلي المنطقي. فالموقف يقتضي ذلك، فلم يكن الفتى جاهلاً بالحكم وإلا لما طلب الاستثناء والإذن له بخاصة؛ إن الحجج العقلية وبخاصة للشباب مطلب رئيس، فالنص قد يتأولونه، أو يخالفونه بغيره، وذلك إذا ضعفوا، وقصرت أفهامهم عن تعظيمه، وتنزيله المنزل الصحيح؛ لذا يحتاجون إلى صوت العقل، لأن حماسهم يغلبهم فيغيب عنهم أحياناً تحكيمهم للعقل، وكلما كانت الحجة لا نقاش فيها، كما كان من حجته ﷺ كان النتيجة حتمية:(لا والله ،جعلني الله فداءك) وما أجمل الحوار الذي يصل فيه المحاور على لسان خصمه إلى النتيجة دون أن ينطق المحاور بها! (يجلسه رسول الله ﷺ

(1) مسند أحمد بن حنبل ج5 ، ص256

ويدخل معه في حوار عقلاني، لا علاقة له بالإيمان، فيخرج منه أكثر إيماناً وأطهر قلباً، وأنقى سريرة، وأبغض الناس للزنا) [1]

ولا نستطيع ان نتجاوز بيان هذا الحديث المعجز فالمتأمل للبيان النبوي هنا يجده يتكئ على أسلوبين لا يكاد يتجاوزهما الرسول ﷺ وهما الاستفهام والنفي، بل إن الاستفهام يرتكز على الفعل (أتحبه) والذي تكرر قرابة خمس مرات، والنفي ينصب على نفي فعل الحب نفسه (والناس لا يحبونه) فقد تكررت هذه الجملة المنفية خمس مرات أيضا، وكان بالإمكان أن تكون اللفظة المؤدية للمعنى والناس يكرهونه، غير أن النبي استخدم (أفتحبه؟) فكانت إجابة الفتى :(لاوالله، جعلني الله فداءك) السؤال ثابت الصيغة، والإجابة من الفتى كذلك ثابتة . سؤال بني على الحب (أفتحبه؟) وإجابة تتبع المحبة بين حروفها (جعلني الله فداك) ولعل القارئ وصل معي إلى سياج المحبة الذي بني عليه الحوار، نعم، حوار هادئ منطقي لم يتأثر فيه رسول اللهﷺ بزجر الحاضرين وانفعالهم، لكن الاحتواء، والحب، والدفء، والحنان كان مسيطرا على سياق الحوار وهذا مما لابد أن يتوج به الحوار مع الشباب، المنطق، والعقل ويغلف بسياج المحبة، فمرحلة الشباب يتأجج فيها هذان العنصران: العقل، والعاطفة. وليس بالضرورة الاسهاب في النقاش، ولكن لابد من بروز هذين الجانبين، وقد كان.

وما هذا إلا حماية للعرض أن ينتهك، وتوقياً للشر قبل وقوعه، في حين أن المصيبة إذا وقعت فلا مناص من الحدّ، ولكنه في حواره ﷺ مع اليهود حينما وقع الزنى من أحدهم كان مختلفاً، فقد وقعت المصيبة، وجاء أوان الحدّ، ليس فقط بشريعة الإسلام بل حتى لدى اليهود؛ فحرص رسول

(1)الحكمة والحوار علاقة تبادليه ، عباس محجوب ، ص 148

ﷺ أن يحاورهم، ويطلب منهم هم أن يظهروا دليلهم الحقيقي، والذي أخفوه، والقصة كما جاءت في صحيح مسلم :عن البراء بن عازب قال مرّ النبيﷺ بيهوديٍّ محممٍ مجلودٍ فدعاهم ﷺ فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا :تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال: رسول اللهﷺ اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم .[1]

وإقامة الحد ليس فقط إظهاراً لموافقة الشرائع الدينية لبعضها البعض في ردع الفساد، وإنما إغلاقاً للباب على قلوب ذوي الأهواء، حتى لا يستهينوا بهذا الجرم أو يزين لهم الشيطان أن يبدلوا دينهم، ويتبعوا اليهودية فالأمر لديهم أخفف، ينتج عن هذه المصيبة مصيبة أعظم وهي تبديل الدين، لذلك بدأ رسول الله حواره مع عالمهم بالحلف والتعظيم فقال :(أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزنى في كتابكم)

(ومن طرق تقرير الأمر عند الخصم وأخذ تسليمه بذلك استحلافه على الأمر المراد تقريره وإثباته لديه)[2]

(1) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أو الحسن القشيري ، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط،ت ، (من دون). باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا ، ج3 ، ص1326

(2)الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحيى زمزمي ، ص390

وسبر النفوس ومعرفة مفاتيح التعامل معها فنٌ لا يدركه أي أحد، لذا أستحلفه رسول الله (بالذي أنزل التوراة على موسى) فعرف رسول الله كيف يقرره، فلم يحلفه بالله فقط وإنما بالذي أنزل التوراة لأن اليهودي لن يقبل بأي إشارة للإسلام أو للقرآن ،ولو كان رضي بمحمد ﷺ نبيا لرضي بالقرآن تبعا لذلك ، ولكنه متشبث باتباعه للتوارة، والدليل قول هذا العالم نفسه: (لولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك) فلو قال له القرآن يقول غير ذلك، لما قبل، غير أنه حينما استحلفه بالذي أنزل التوراة أقر وأقام النبي الحد على اليهودي .

ومن أعمق الحوادث التي حدثت في عهد رسول الله ﷺ قصة حاطب بن أبي بلتعة – رضي الله عنه – حينما أرسل إلى قريش يعلمهم بمقدم الرسول ﷺ إلى مكة ليحمي بهذه اليد قرابته في مكة، فقال له رسول الله ﷺ (ما هذا يا حاطب فقال لا تعجل على إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قرباتهم، ولم يكن لي بمكة قرابة، فأحببت إذ فاتني ذلك، أن أتخذ عندهم يداً، والله ما فعلته شكاً في ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ :إنه قد صدق، فقال عمر يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر، فقال: أعملوا ماشئتم، فقد غفرت لكم، ونزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) [1]

(1) رواه مسلم في صحيحه 2494 وإسناده صحيح. وقد ورد في أحكام القرآن، لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق عبدالغني عبدالخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(من دون) 1400 ج2 ، ص 48

فلا شك أن ما فعله حاطب يسمى بالخيانة العظمى في مصطلح الدول المعاصرة، ولعل هذا يبرر لنا موقف عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– حينما قال للرسول ﷺ (دعني يا رسول الله أضرب عنقه فقد نافق) لكن حاطباً بذل في أزمان الشدة بذلاً كريماً، أتخذه رسول الله يداً بيضاء، أبقت بصمتها المشرقة على صحائف التاريخ فشفعت له. والدليل أن هذا المقام الذي وقفه حاطب مما برر لنفسه وقال (والله ما فعلته شكاً في ديني، ولا رضاً بالكفر) كان مقالة حق شهد له بها رسول الله ﷺ بقوله: (صدق) ولكن هذه الشهادة مبنية على وحي من الله، الذي يعلم بخائنة الأعين، وما تخفي الصدور، لذا فليس لرسول الله أن يحكم لأحد بمغفرة أو جنة أو نار إلا بإذن الله. وليس ذلك لأحد بعد ذلك.

غير أن الجميل أن رسول الله لم يزد في حواره لحاطب عن بضع كلمات (ما هذا يا حاطب) و (صدق) وفي اقتضابه إشارة للغضب، فلم يقل له النبي ﷺ : صدقت، وإنما تكلم بأسلوب الغيبة والالتفات هنا التفات بلاغي ونفسي بكل ما تحويه الكلمة،، فكأن النبي ﷺ يبرر لأصحابه ويوجه لهم الخطاب أما حاطب فلم يباشره بالخطاب لغضبه ﷺ وهذا ما تنص عليه الدراسات الحديثة لأسلوب (فالأسلوب هو مظهر القول الذي ينجم عن اختيار وسائل التعبير، وهذه الوسائل التي تحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب)[1]فهو بأبي وأمي لا يغضب إلا إذا انتهكت حدود الله، لكنه لم فينسَ جميل فعله السابق (وهكذا يعلم النبي ﷺ المسلمين في كل مكان وزمان حكاماً ومحكومين ، كيف يبنى الرجال ، فيذكر تاريخهم المجيد

(1) – علم الأسلوب ، صلاح فضل ،ص 144

وأعمالهم المجيدة ، ولا ينسى أو يتناسى كل ما قدموه من أعمال جليلة عند ارتكابهم أي خطأ من الأخطاء ، وبذلك يبني الرجال ولا يحطمهم) [1]

وإذا جئنا إلى الأسلوب الخطابي والذي يعمم الخطاب فيه ولا يخص به فرد بعينه، أو ما يسمى حديثا بخطاب الجماهير فهو في نظري صنف من أصناف الحوار وإن كان المرسل واحدا إلا أن المتلقين عدة، وتتأخر فيه ردود الأفعال أو تكون آنية في وقتها بحسب ما يطرح، وهو نهج حواري ليس بالهين، فالمتحدث قد يفاجأ بمداخلات ومقاطعات م يتهيأ لها لأن صورة المتلقي غير واضحة ومحددة ليستعد لها، لذا أرى أن خطاب الجماهير لا يضطلع به أي أحد وله سمات جاذبة لا تقتصر فقط على لغة الجسد بل للجانب اللغوي فيه نصيب الأسد، ويوصل معه لنتيجة عادة يكون موافقتها لقصد الخطيب أو خلافها عنه بحسب نجاحه في إيصال فكرته ولنأخذ مثالا على ذلك(خطبة الوداع) التي تصدرت لجل المعاني المحذرة من الظلم والعدوان؛ وقد ظهرت في هذه الخطبة روح الحوار، وإن كان غلب عليه الجانب الواحد إلا أن هذا كان مقصودا، فعن جرير –رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع (استنصت الناس)[2] فالأمر الذي سيلقى إليهم مهم لا يحتمل الانشغال عنه(فَخَطَبَ الناس وقال إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا في شَهْرِكُمْ هذا في بَلَدِكُمْ هذا أَلا كُلُّ شَيْءٍ من أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ من دِمَائِنَا دَمُ بن رَبِيعَةَ بن الْحَارِثِ كان مُسْتَرْضِعًا في بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ

(1) مجلة رسالة الخليج العربي ، 1403 – 1983 ، ص 139

(2)مسند أحمد بن حنبل ، ج4 ، ص 358 .

رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بن عبد الْمُطَّلِبِ فإنه مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ في النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذلك فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غير مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وقد تَرَكْتُ فِيكُمْ ما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إن اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فما أَنْتُمْ قَائِلُونَ قالوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قد بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ فقال بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إلى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إلى الناس اللهم اشْهَدْ اللهم اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)[1].

وقد ذكر ابن عباس في رواية عند البخاري أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال : (يا أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: فأي بلد هذا؟ قالوا بلد حرام، قال: فأي شهر هذا؟ قالوا شهر حرام. قال: فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، فأعادها مرارا، ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ قال ابن عباس: فو الذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته، فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض)[2].

تكاد تكون الخطبة مؤكدة للتحريم الكليات الخمس، فبعد الثناء على الله والحث على تقواه ،عرج ﷺ على تحريم الدماء ،والأموال، والأعراض، ومن أقوى أساليب التأكيد والإقناع بدئهﷺ بقرابته ، فوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، ووضع ربا العباس بن عبد المطلب، ولم يضعهما بمطلق العبارة؛ وإنما تحت قدميه زيادة في تهوين أمرها، فتهون في نفس

(1)صحيح مسلم ، باب حجة النبي ﷺ،ج2 ،ص 889-890

(2) – رواه البخاري في كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، رقم الحديث 1652

السامع ماله من دماء وحقوق جاهلية سالفة، وتنطفئ شرارة الشر والثأر، وتهدأ النفوس وينبعث شذى الأمن في القلوب .

ولعل كونها خطبة مودع، هو الذي جعله يحرص على تأكيد هذه الأمور وتقريرها في عقول المسلمين وضمائرهم قبل أن يفارقهم، وتحديد المنهج الذي يلتزمونه، ويسيرون على هديه من بعده، وهو العمل بكتاب الله وسنة نبيهﷺ)[1]

والظاهر على هذه الخطبة هو شيوع الإثارة في استجلاب السامعين، بربط الحرمة في نفوسهم بحرمة البلد الحرام والشهر الحرام، حتى يستعظموا الأمر الذي يستحثهم صلوات الله عليه على الحذر من الوغول فيه، وهو الدماء، والأموال، والأعراض، فهو أسلوب فني يضمن له السيطرة على جمهوره، ونشر أفكاره، حينما كان ﷺ يستشهد الناس خلال حديثه، ثم في التكرار غير المتكلف (اللهم فاشهد).[2]

وقد عدها بعض الباحثين أطول خطبة وصلت إلينا، وامتازت على الرغم من طولها بأسلوب فريد في الصياغة اللغوية، ناهيك عما اشتملت عليه من الصراحة والوضوح[3].

وهناك سر لطيف في خطبة رسول الله ﷺ هذه بالإضافة إلى البداية المشوقة فقد شغلت الأدباء ومتذوقي الجمال ولازالت حتى حيننا هذا. حيث

---

(1)الأدب في عصر النبوة والراشدين ، صلاح الدين الهادي،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط3 ، 1407-1987،ص177 .

(2)ينظر: تطور الأداء الخطابي بين عصر صدر الإسلام وبني أمية ، مي خليف ، دار غريب ، القاهرة ، ط،ت ، (من دون)، ص35 .

(3)الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، نايف معروف، دار النفائس ، بيروت ، ط1، 1410 -1990.ص43 .

سألهم عن معلوم وهو اسم اليوم والشهر والبلد حتى ظنوا أنه سيغير الأسماء؟! فما الظن في التركيز والإصغاء! وهذا نمط يغيب عند الحوار لا يسعى المحاور ليستنصت الطرف المقابل، أو لا يستخدم ما قد يجعله ينصت، وقد كانت الموسيقى النثرية ظاهرة في ثنايا الخطبة (فاللهم فاشهد) تمثل خاتمة متكررة حروف الهمس فيها من الهاء والشين والفاء توصل مناجاته لربه، فعلى الرغم من الجهر بها للناس ليسمعوها إلا أنها أوصلت لنا نجواه لربه وكأنه ﷺ في وداعه لأمته في حجة الوداع يقول يارب قد أبلغت أمانتك، وقد فعل ﷺ. وقد ذكرت تعليقا لمحمد رجب بيومي حول موسيقى الكلام النثرية (يظن بعض الناس أن الموسيقى النثرية لا تكون إلا بالمحسنات البديعية من سجع وازدواج وجناس، وهذا بعض الحق لا كله، لأن الموسيقى النثرية قد تكون بهذه المحسنات إذا أتت عن طبع وصدرت عن أصالة، وقد تكون بغيرها إذا رتب الكلام ترتيبا نفسيا يوافق اهتزاز المشاعر، وتموجات النفس بأن يعبر الأديب عن خواطر تطرد وتدفق منسجمة في نسق خاص، فكأن سلكا خافيا ينظمها نظم الدرر)[1]

وقد صرح ﷺ لهم بذلك وأظهر مكنون نفسه حين قال :

(وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فما أَنْتُمْ قَائِلُونَ قالوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قد بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ) وهو الجمهور يضج بإجابة جماعية: يفرضها الحق المبين بلغت وأديت ونصحت، فكانت بعدها لغة الإشارة وإذا اقترنت بالكلمات كان المقام أبلغ: (فقال بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إلى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إلى الناس اللهم اشْهَدْ اللهم اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) ليبقى آخر ما يعلق بالأذهان بتكراره معنى ومبنى أنهﷺ بلغ وأدى الأمانة أمانة الدعوة إلى الله وبلاغ هذا الذين وقد فعل صلوات ربي وسلامه عليه ونحن بعد أربعة عشر قرنا نشهد بذلك أيضا .

---

(1) – البلاغة النبوية د. محمد رجب بيومي ، دار الكتب المصرية اللبنانية ،ط1 ، 1429-2008 ،ص257 .

المبحث الثاني

رسائل رسول الله ﷺ:

أما الكتابة فمن أبرز المواقف التي كتب فيها رسول الله ﷺصلح الحديبية، حيث ظهر أثر الحوار الهادئ، وضبط النفس على كتابة الصلح الذي دار بينه وبين سهيل بن عمر. والقصة كما يرويها كاتب الصلح علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–:(دعاني رسول الله ﷺ فقال :اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله اكتب باسمك اللهم، فكتبتها ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل بن عمرو: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال :فقال رسول الله :اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع رسول الله لم ترده عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه) [1]

إن التنزل مع الخصم لا يعني أبد التنازل، ولكن الحكمة وضبط النفس هي التي لا بد أن نتعلم ممارستها، وبخاصة إذا كان هذا الحوار يترتب عليه مصير شعوب وأمم، وقد يكون المقام في صلح الحديبية يخضع

(1) رواه أحمد في مسنده، باب حديث جبير بن مطعم ج 4، ص86.وأوردها الطبري في تاريخه: تاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية، بيروت ط،ت، (من دون)،ج2 ،ص 122– 123.

للوحي والتوجيه الرباني لنبيه؛ لكنه في أسلوب تعامله مع خصمه وضبطه لزمام الأمور هدي نبوي يستحق الاتباع والاقتداء .وأقف مع العبارة النبوية مقتضبة لا تتجاوز ما يطلبه سهيل ، فليس المقام هنا مقام إسهاب مع محاور يتعنت في كل صبغة إسلامية، ولذا وافقه الرسول على مطلبه وكان وراء هذه الموافقات الصلح الذي عدَّ بداية الفتح لمكة المكرمة .

وهكذا (ظل الدور الكتابي مرهونا بحركة الأحداث الكبرى، وتسجيل المواقف بهذه الدقة الجدلية التي يكشفها أمر الصلح بين رسول اللهﷺ ومشركي مكة ،فالكتابة هنا وثيقة محققة تعتمد على الدقة والمراجعة ويشيع حولها الحوار والجدل ، وهي بهذا القياس أيضا تمثل جزءا من المطلب الحيوي الذي يتعلق بقضية الصراع بين معسكري الإسلام والشرك بشكل مطرد)[1]

وإذا التفتنا صوب الرسائل المكتوبة والتي كان النبي ﷺ يبعث بها إلى الملوك ابتداءً، يحثهم فيها على الدخول في دين الله ،ويحذرهم ويحملهم إثم من تحتهم نجدها صيغت بسهولة ووضوح، فالرسول ﷺ لم يكن له عناية بتحبير الرسائل وتزويقها، وإنما يعمد إلى فكرته فيدفع بها دفعا لأهدافه السياسية من غير أن يطيل أو يسهب، وإنما يلج إلى غرضه بالكلمات القليلة.[2]

(1) النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي دراسة تحليلية ، مي خليف ، دار قباء ، القاهرة ، ط،ت ، (من دون). ص 31 .

(2) ينظر: المقدمة في نقد النثر العربي مشروع رؤية جديدة في تقنيات البحث والكتابة ، علي حب الله،دار الهادي ، بيروت ،ط1، 1421-2001 ،ص67 .

ولكن الأثر الحواري للرسائل يتجلى في ردود أفعال المرسل إليهم، فهي وإن صيغت مكتوبة من طرف واحد إلا أن ردة الفعل وصلت لرسول اللهﷺ.

ونستعرض كتابيه إلى هرقل عظيم الروم وإلى كسرى عظيم الفرس أما الأول فخاطبه قائلاً: (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوكم بدعاية الإسلام . أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا ، فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون) [1]

وأما كتابه لكسرى فقد كان:(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس ،سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله ،وأني رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيا ،أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس). [2]

والرسالتان تتشابهان في إطارهما الخارجي ؛لكونهما موجهتين لشخصيتين في الظاهر متساويتان، فكلاهما وجه لهما الخطاب ب (عظيم) وذا أدب نبوي رفيع في إنزال الناس منازلهم، ولكنهما مختلفتان في الباطن فهرقل على دين سماوي؛ لذا خاطبه بآية تحث أهل الكتاب على التوحيد، وجعلها خاتمة الرسالة ليبقى صداها في نفسه، وهذا هو عين الحكمة

(1) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبيﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، ج1 ، ص9.

(2) تاريخ الطبري ، ج2 ، ص132

والصواب ولا شك فالتناص هنا أو التضمين مطلب مهم (فتضمين الرسالة نصا من القرآن الكريم كتاب الإسلام كان في منتهى الحكمة، حيث يدعو ذلك (هرقل) إلى مقارنة ماهو عنده بالإنجيل، ولعل هذه المقارنة تهديه إلى طريق الرشاد فيسلم مع محمد ﷺ لله رب العالمين)[1].

لذا كانت ردة فعل هرقل مختلفة كما أشار ابن كثير – رحمه الله– أن هرقل استدعى الأسقف الأكبر للرومان فدخل عليه، وكان كل الناس في الرومان يطيعون أمر هذا الأسقف الكبير، فعرض عليه هرقل الكتاب، فلما قرأ الأسقف الكتاب قال: "هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر."

قال قيصر: فما تأمرني؟

فقال الأسقف: أما أنا فإني مصدقه ومتبعه.

فقال قيصر: أعرف أنه كذلك، ولكني لا أستطيع أن أفعل، وإن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم [2]

أما كسرى فقد تغطرس وقابل الكتاب بأنفة أن يبتدئ الرسولﷺ اسمه قبل اسم كسرى، فمزق الرسالة فدعا رسول الله ﷺ عليه أن يمزق الله ملكه وقد كان ذلك فقد أجاب الله دعوة نبيه ﷺ .[3]

(1)– أضواء على البلاغة النبوية ، د . إبراهيم الجعلي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط1، 1425-2004 ، ص 33

(2)– السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، 1396-1976 ، 505/3

(3)– الرحيق المختوم لصفي الرحمن المبارك فوري ،

لكنما الشخصيات التافهة والتي لا تستحق الاطالة أو الإسهاب أو إعمال الفكر لمخاطبتها كأمثال مدعي النبوة مسيلمة الكذاب كانت الكتابة له تختلف

كان مسيلمة بن حبيب الكذاب كتب إلى رسول الله (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك؛فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشا قوم يعتدون) [1]

فرد عليه النبي (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ،سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) [2]

فشأن مسيلمة أقل حتى من أن يوجه إليه السلام وإنما السلام على من اتبع الهدى، ويكاد يصل إلينا الشعور بالإعراض من بين أسطر الرسالة على إيجازها .ولا يظن ظان أن هذا الإيجاز من النبي ﷺ في أحاديثه وخطبه ومكاتباته هو بعد عن البلاغة بل هو البلاغة بعينها لأنها جاءت عفوية الفطرة (والبلاغة إنما هي في الأصل عفوية الفطرة لأنه تعبير عن قوة النفس) [3]

وموضع الشاهد هنا أن المكاتبة تمتد ولا تنتهي عند المرسل فالمتلقي يتلقاها ويصل أثرها للمرسل فيما بعد ، وهذا فرق بين الحديث الشفوي والمكتوب أما الشفوي فالرسالة تأخذ دورتها في حينه ، لكنما المكتوب يطول

(1) تاريخ الطبري ، ج2 ، ص 203

(2) المرجع السابق ، ج2 ، ص 204

(3) تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، محمود المقداد ،دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1413-1993، 238

به الزمن ، وهذا في العصور القديمة أما في أزماننا المتأخرة فينبغي الاحتفاء أكثر لأن ردة الفعل تظهر في حينها بسبب وسائل التواصل التقني الحديثة .

فإن كان الأسلوب يُعنى بالقيم التعبيرية فيتتبع مستويات اللهجة في التعبير بحسب الطرف المخاطب، أو طبقته والطائفة التي ينتمي إليها والعصر والزمان [1]فقدأحاط الحوار النبوي بهذه القيم التعبيرية ، بل اصطبغ الحوار النبوي بالصبغة الرحيمة، الرؤوفة في كل الأحوال ومع كل الطبقات والفئات والطوائف، وبان فيه عصر وهج العربية التي ترى البلاغة الإيجاز وإن ورد الاسهاب فبقدر وليس هو الغالب .

(1) – ينظر : علم الأسلوب ، صلاح فضل ، ص 26–27 .

الخاتمة وأهم التوصيات

لإن كان الحوار اتصالا فاعلا فإن الحوار النبوي قد اعتلى قممه، وكان فاعلا ناجحا بكل ما حوى النجاح بمقاييسه المتعددة، فالنصوص التي طالعتنا جميعها أوصلت الفكرة، ونجحت في إيصال المتلقي لها إلى القناعة، واعتناق الحق الذي جاء به النبي ﷺ . وإن كان رسول الله ﷺ رُفد بالعون الإلهي والمدد من الله ،إلا أن نهجه للسالكين على طريقته لا يوصد أبوابه، ومن اقتدى به وسار على نهجه لابد وأن يدرك حاجته، ويقتبس من نوره ويسدد ويعان من ربه، فصدق النية ومحبة الخير للطرف الآخر سيطرت على جميع ما مر بنا، والرفق والحلم كانا ظاهرين خلال حواراته ﷺ .

فكل ما ألف من كتب فن الحوار كأنها تشير لنهجه ويستقي من نبعه، وكأنما كان هديه صلوات ربي عليه قائما بين أعينهم يرتسمونه وهم يُؤلِّفون ما ألَّفوا علموا بذلك أم جهلوا.

وتبقى لغة الحوار: الكلمات، والجمل وتكرارها، والاقتضاب، والاسهاب، وإعادته لكلام المقابل له، ومراعاته لأحوال السن والمقام واستحضاره لحال من يخاطبه، وفوق ذلك كله الدقة في اختيار اللفظة مما يحير القارئ. حيث أن الدراسة الأسلوبية للحوار النبوي تجر الناقد من دائرة النقد المعتادة بإظهار جوانب الضعف والقوة، إلى دائرة النقد الجمالي بمفهومه المثالي والذي لا يجد إلا النموذج المحتذى .

لقد أحاط البيان النبوي بالقيم التعبيرية التي أشار إليها علماء الأسلوب، ظهر في الحوار النبوي مراعاة طوائف المتحدثين، طبقاتهم، أحوالهم، ظهر قرينا باللغة مراعاة الزمان والمكان بل وتوظيفهما في الحوار متى ما تطلب ذلك الأمر .

ولا زال في الحوار النبوي حجرات لم تولج لمن أراد أن يترجم الفكر الرباني ويحلل البيان النبوي، ولا أجمل من أن تربى الأمة من جديد على نهج نبيها، وتحتذي حذوه في البيان والتبيان .لذا توصي هذه الدراسة بما يلي:

- عقد الشراكة بين المراكز والمعاهد ذات الصلة والاهتمام بالاتصال والحوار الإنساني وأقسام اللغة العربية لخدمة هذا الجانب وهو دراسة البيان والكلام الدائر في أشهر النصوص الحوارية ذات القبول والجودة.
- تتبع ما ورد بعد ذلك من العصور، وبخاصة عصر المسددين من الخلفاء الراشدين، ومعالجة الرسائل والخطب والمواقف الحوارية بمنظار النقد الأسلوبي .
- التركيز عند التدريب على مهارات الاتصال والحوار على الثروة اللفظية، ومحاولة رفد المتدرب بنصوص ثرية ومساعدته على اكتشاف جوانب القوة من الناحية التعبيرية كي يحتذي حذوها.
- لا يرتبط الحوار كمهارة باللغة الفصحى؛ فهو ممارسة يومية مع جميع فئات المجتمع، لكن ينبغي على من يتصدر للجمهور وعلى معدي البرامج الثقافية أن يتثقفوا بالثقافة اللغوية الجمالية الرفيعة، وأن يعتادوا اللغة العالية من الخطاب، فهذا من حقوق الأمة العربية والإسلامية على أبنائها .

وفي الختام أسأل الله أن أكون قد وفقت للصواب وأرجو أن أكون أفدت القارئ بشيء مما استفدته أنا، وفوق ذلك أرجو من الله أن أكون وفقت لتسليط النور على شيء من الجمال البياني النبوي، وأن أكون وضعت بذرة في أرض المعرفة الإنسانية مباركة الجذور، لبركة من استقيت نهجه في هذه الدراسة وصلى الله وسلم على النبي المجتبى وآله والصحب الكرام العلى .

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم

_ أحكام القرآن ،لمحمد بن إدريس الشافعي ، أبو عبدالله ، تحقيق عبد الغني عبد الخالق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(من دون) 1400

- أضواء على البلاغة النبوية ، د . إبراهيم الجعلي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط1 ، 1425-2004
- الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، نايف معروف، دار النفائس ، بيروت ، ط1، 1410 -1990.
- أدب الحوار ، سعد بن ناصر الشتري، تعليق سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز آل شيخ ، كنوز إشبيليا،الرياض،ط1 ،1427-2006
- الأدب في عصر النبوة والراشدين ، صلاح الدين الهادي،مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط3 ، 1407-1987.
- الأسلوب والأسلوبية ، عبدالسلام المسدي ،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ،ط5 ،2006
- البلاغة النبوية د. محمد رجب بيومي ، دار الكتب المصرية اللبنانية ، ط1، 1429-2008
- البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق ، د. غالب الشاويش، الرشد ، الرياض ،ط1،1430-2009
- البيان والتبين ،لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وضع حواشيه موفق شهاب الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ،1419- 1998
- تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام،محمود المقداد ،دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1413-1993 .

- تاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية، بيروت ط،ت ، (من دون)
- التفكير الأسلوبي "رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث ، سامي عبابنة ،عالم الكتب الحديث،جدارا للكتاب العالمي، الأردن ، ط1، ت2007
- التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها ، صالح بن الهادي رمضان ، من إصدارات وزارة التعليم جامع الإمام محمد بن سعود ،سلسلة دراسات بينية –2– ط (من دون)
- تطور الأداء الخطابي بين عصر صدر الإسلام وبني أمية،مي يوسف خليف ،دار غريب، القاهرة، ط،ت ، (من دون)
- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ، بيروت ،ط3 ، 1407–1987.
- الحكمة والحوار علاقة تبادلية ، عباس محجوب، الطبعة والدار (من دون) الخرطوم ، 2004 .
- الحوار أصوله المنهجية وآدبه السلوكية ، أحمد الصويان، دار الوطن ، الرياض ، ط1 ، 1413 .
- الحوار في ضوء الكتاب والسنة ، يحيى بن محمد حسن أحمد زمزمي، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، دار الرمادي للنشر ، الدمام ، ط1، 1414–1994 .
- الرحيق المختوم لصفي الرحمن المبارك فوري
- السيرة النبوية لأبي محمد عبدالملك بن هشام، قراءة وضبط وشرح : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ،1424–2003 .

- السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، 1396-1976.
- الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، عبدالعليم إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط10 ،ت(من دون)
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أو الحسن القشيري ، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط،ت ، (من دون).
- كيف تحاور ، دليل عملي للحوار ، د.طارق الحبيب، دار المسلم ، الرياض ، ط 4، 1418 .
- اللغة بين البلاغة والأسلوبية ،مصطفى ناصف ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، 1409-1989
- لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1410هـ-1990 م0
- مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، مؤسسة قرطبة ، مصر ،ط، ت ، (من دون).
- مقدمة في نقد النثر العربي مشروع رؤية جديدة في تقنيات البحث والكتابة، علي حب الله، دار الهادي ، بيروت ،ط1، 1421-2001
- النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي دراسة تحليلية ، مي يوسف خليف، دار قباء ، القاهرة ، ط،ت ، (من دون).

المجلات :

- مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ، الرياض ، 1403- 1983 .